التاريخ المرضي لصلاح الدين الأيوبي*

(١١٨٥-١١٩٣م)

أ.د. محمد مؤنس عوض**

يتناول هذا البحث بالدراسة التاريخ المرضي لصلاح الدين الأيوبي، وهو أمر علي جانب كبير من الأهمية من أجل تسليط الأضواء الكاشفة علي حياة ذلك القائد البارز في عصر الحروب الصليبية علي نحو يعيننا علي فهم دوره خلال ذلك الحين.

بصفة عامة، اعتاد الباحثون تناول صلاح الدين كقائد بارز يخوض غمار المعارك المريرة ضد الصليبيين وكذلك خصومه من المسلمين ويحقق الانتصارات تلو الأخرى وبالتالي فالصورة الذهنية العامة عنه أنه موفور الصحة والقوة والنشاط لا يكل ولا يمل من الجهاد، وهو أمر نجده في كافة الدراسات التي تناولته، ولكن التعرض إليه من خلال الضعف الجسدي بالمرض فهو أمر يندر الحديث عنه علي وجه العموم.

تجدر الإشارة إلي أن المؤرخ المتصدي للموضوع المذكور[١] يواجه صعوبة كبيرة تتمثل في ندرة الإشارات المصدرية إذ أنهمك المؤرخون المعاصرون- في أغلبهم- بتناول الأحداث السياسية والعسكرية خلال ذلك العصر، ونادراً ما أشاروا إلي التاريخ المرضي لذلك السلطان باستثناء مرضه الأخير بطبيعة الحال.

كذلك يلاحظ أن اصابته بالمرض كانت متقطعة وفي فترات مختلفة وفي أماكن متعددة مما صعب علي المرء متابعتها من خلال تطور زمني دقيق وقد أقر صلاح الدين نفسه للقاضي الفاضل بأنه كثير الأمراض[٢].

---

* أود التعبير عن خالص شكري للأستاذ الدكتور رأفت عبد الجواد الأستاذ بكلية الطب – جامعة الشارقة الذي أفادني بالملاحظات القيمة عن المرض الأخير لصلاح الدين الأيوبي من خلال نقاشي معه حول نصوص النوادر السلطانية فله مني وافر التقدير.

** أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعتي عين شمس والشارقة.

كما لا نغفل أن الباحثين – عموما – عزفوا عن دراسة أثر الحالة الصحية لقادة التاريخ – خاصة خلال مرحلة الحروب الصليبية علي قراراتهم السياسية التي اتخذوها في مواجهة الأحداث الصاخبة من خلال الصراع الإسلامي – الصليبي، ولذلك لم أعثر علي دراسة بالعربية – علي الأقل – تتناول هذا الموضوع وفق اهتماماتي البيليوغرافية.

من جهة أخرى، لا تكشف لنا المصادر التاريخية المعاصرة البواكير الأولى التاريخ المرضي لصلاح الدين الأيوبي، وأن كنا نعلم بطبيعة الحال نهايته من خلال وفاته فجر الأربعاء ٤ مارس ١١٩٣م بعد أن أجهز عليه المرض.

بصفة عامة، يعد القاضي بهاء الدين بن شداد[٣] (ت ١٢٣٤م) مؤلف النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية مصدرنا الأساسي عن ذلك التاريخ المرضي وعلي نحو خاص المرض الأخير الذي أدي إلي وفاة السلطان الأيوبي، ويمتاز عرضه بالدقة والتفصيل ثم بالتحديد الزمني اليومي بصورة لا نجدها في أي مصدر تاريخي عربي معاصر آخر، وقد ساعده علي ذلك بصورة أساسية، ملازمته لقائده طوال الست سنوات الأخيرة من حياته ١١٨٨-١١٩٣م فهي مرحلة زمنية فارقة في تاريخ الصراع الإسلامي – الصليبي كانت عامرة بالأحداث السياسية العسكرية الجسام وأيضاً بمرض صلاح الدين الأيوبي، وقد أحاط بأدق تفاصيل حياته صحيحاً معافاً أو مريضاً.

وهناك مصدر تاريخي آخر علي جانب كبير من الأهمية في صورة ما أورده ابن أبي أصيبعة[٤] (ت ١٢٦٨م) – مؤرخ الطب الإسلامي العربي الأول– في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء، حيث أورد نصوصاً مما ذكره عبد اللطيف البغدادي[٥] (ت ١٢٣١م)؛ وهو طبيب، مؤرخ ورحالة موسوعي الثقافة، وأهمية ما ذكره في هذا الشأن ترتبط بمسؤولية علاج صلاح الدين الأيوبي في مرضه الأخير الذي أودي بحياته.

ويلاحظ أن ذلك القول جاء من طبيب معاصر ولذلك فشهادته لها مكانتها بين مصادر التاريخ المرضي لذلك السلطان، خاصة أنها فريدة لم ينتبه إليها العديد من الباحثين!!، ولعل ذلك يرجع إلي عدم اهتمام اغلبهم بتاريخ في ذلك العصر، وكذلك الإشارة العرضية التي أوردها عبد اللطيف البغدادي ذكرت في عيون الأنباء ولم ترد لدي كتاب مستقل من تأليفه.

تجدر الإشارة إلي أن صلاح الدين الأيوبي قد وقع فريسة للمرض عام ١١٨٥م، عندما كان في منطقة الجزيرة الفراتية يقاتل خصومه من الزنكيين، وقد أصابه المرض في كفر زمار ومن هناك ارتحل إلي حران، ويلاحظ أنه كان يرافقه الأمير المغربي عبد العزيز بن شداد بن تميم بن باديس (وهو ينتسب إلي أسرة ابن بادبس التي توارثت حكم القيروان)، وقد طلب منه ذلك الأمير أن ينذر نفسه إذا ما من الله تعالي عليه بالشفاء بأن

يقوم بكل ما لله، ولا يقاتل احداً من المسلمين ويجتهد في قتال الصليبيين[٦]، وهو ما تم بالفعل فيما بعد خاصة من خلال معركة حطين الفاصلة عام ١١٨٧م.

يلاحظ أنه خلال إصابته بالمرض، الذي لا نعرف تحديده طبياً وصلت إلي مسامعه وفاة زوجته – وأرملة نور الدين محمود من قبل – عصمت الدين خاتون (ت ١١٨٥م) الأثيرة إلي قلبه، فحزن لذلك أشد الحزن حتى زاد عليه المرض[٧]، وهو أمر يدلنا علي أننا أمام قائد مفرط الحساسية يؤثر علي حالته الصحية سماعه لأخبار سيئة عن رحيل أحد المقربين منه كزوجته، فما بالنا بأحداث عسكرية طاحنة يفتك فيها الصليبيون بالكثيرين من أفراد الجيش الأيوبي".

وهكذا، يمكننا القول بأن مرض عام ١١٨٥م كان له دوره الحيوي في تاريخ صلاح الدين الأيوبي حيث عمل من بعد شفائه بنصيحة ذلك الأمير المغربي وكان له دوره البارز في ساحات الجهاد ضد الصليبيين، ولا يعني ذلك أن فكرته في الجهاد لم تكن متوافرة من قبل ذلك[٨]، إذ أن صراعاته مع القوى الإسلامية كانت تصب في النهاية نحو جهاد الصليبيين، وبالتالي فإن شفاءه من المرض المذكور يعتبر عنصراً مساعداً لا أكثر حتى لا تختزل الأمر في مجرد نصيحة عابرة من أحد مرافقيه.

من جهة أخرى، قرر بهاء الدين بن شداد اصابة صلاح الدين الأيوبي بالمرض أثناء الصراع علي عكا خلال أحداث ما عرف بالحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩١م)، وقد قرر عنه أنه كان علي غاية من مرض اعتراه بسبب كثرة دمامل كانت ظهرت عليه من وسطه إلي ركبته، بحيث لا يستطيع الجلوس، وإنما يكون متكئاً علي جانبه إذا كان في الخيمة، وأمتنع عن مد الطعام بين يديه لعجزه عن الجلوس[٩]، ويفهم من النص المذكور أن تلك الدمامل أصابت المقعدة ولذلك لم يكن من الممكن أن يجلس وحالته بهذه الصورة، ومن المفترض أن ذلك انطبق أيضا علي استخدام الخيول وامتطاء ظهورها ويعتبر الوصف المذكور من أدق ما وصل إلينا في تاريخ صلاح الدين المرضي فيما قبل مرضه الأخير وأمتاز بالدقة وتحديد مكان الإصابة المرضية وأثرها علي حياة السلطان الشخصية من خلال عدم قدرته علي الجلوس وتناول الطعام بصورة طبيعية وهي معلومات ما كان من الممكن الحصول عليها إلا من خلال مستشار شخصي للسلطان يلازمه كظله طوال الست سنوات الأخيرة من حياته، وهكذا يتأكد لنا دون مبالغة – أن مؤلف النوادر يتفوق بقربه الشديد علي أي مؤرخ معاصر آخر في هذه الزاوية علي نحو خاص.

وقد أورد ذلك المؤرخ تلك الإشارة في معرض حديثه عن صبر السلطان المذكور واحتسابه، وقد ذكر أن مرضه لم يمنعه من جهاد الصليبيين وقد ذكر له "إذا ركبت يزول

عني ألمها حتى أنزل"[١٠] ويقصد بذلك عندما يمتطي صهوة حصانه علي نحو يعكس الأثر النفسي القوى لجهاده وتفيد الإشارة المذكورة في توضيح أن مرضه لم يكن يمثل له دوماً عنصر إعاقة، بل كان دافعاً قوياً كي يتجاوزه ليجاهد الصليبيين وكأنه سليم معافي، ومن الجلي البين أن عصامية صلاح الدين والحياة التي عاشها في طفولته وشبابه وطبيعته العسكرية جعلته أقدر علي تحدي المرض والصبر علي آلامه وهذه ناحية علينا الانتباه لها عند تناولنا التاريخ المرضي للسلطان.

كما ذكر مرض صلاح الدين في منطقة الخروبة ويقصد بها تل الخروبة الواقع جنوب غربي شفرعم شرقي حيفا بفلسطين- دون أن يحدد العام. وإن كان من المفترض أن ذلك حدث في أعقاب حطين ١١٨٧م حيث دخل المسلمون كافة مناطق فلسطين في أعقاب انهيار الدفاعات الصليبية وقد ذكر أنه مَرض هناك وأن الصليبيين حاولوا استغلال الأمر لصالحهم، إلا أنه بادر إلي مواجهتهم عسكريا وتحامل علي نفسه، بل أنه كان "يسير ساعة ثم ينزل يستريح لا يتظلل بمنديل علي رأسه من شدة وقع الشمس عليه، ولا ينصب له خيمة حتى لا يرى العدو ضعفاً"[١١] وبالتالي يستغل ذلك الوضع لصالحه.

وهو أمر يدل علي أنه مرض خلال شهور الصيف حيث تشتد حرارة الشمس علي نحو كان يؤثر سلباً عليه خلال مرضه، ويدل أيضاً علي أننا أمام قائد لديه القدرة علي اختزال آلامه من أجل مصلحة المسلمين العليا وجهادهم ضد الصليبيين في أصعب الظروف المناخية.

ومن المفترض أن صلاح الدين الأيوبي صار متعايشاً مع مرضه، خاصة خلال صراعه الحربي المرير مع الصليبيين ومثل له ذلك الأمر تحدياً واضحاً قابله باستجابة فعالة زادت من أدائه كقائد للمسلمين حينذاك خاصة أن القادة والجنود الذين عملوا تحت رايته عندما شاهدوه علي هذا النحو، زادت حماستهم لمواصلة الجهاد ضد الأعداء.

والواقع أننا عندما ندرس الأمراض التي أصابت صلاح الدين الأيوبي يمكننا ملاحظة الآتي:

أولاً : قد يكون هناك استعداد وراثي لإصابته بالأمراض، وهو أمر لا دخل لصلاح الدين فيه - في حالة وجوده أصلاً - وربما يكون قد أكتسبه من والديه، وأمام امكانات العصور الوسطي المحدودة ليس في مقدورنا حسم هذا الافتراض غير المؤكد.

ثانياً : كان هناك تأثير واضح من جانب تباين الظروف المناخية للمناطق الجغرافية المختلفة التي حدثت فيها المعارك الحربية وتوزعها بين صيف وشتاء ومناطق جبلية وسهلية وساحلية وصحراوية - كان تأثيرها سلبياً علي صحته خاصة أنه شارك شخصياً في كافة

المعارك التي خاض غمارها الجيش الأيوبي ضد الصليبيين، ويكفي الإشارة هنا إلي ظهور الدمامل في جسده مما دل علي أن جلده كان حساساً للتقلبات الجوية خاصة أن الجلد – عموما – يعبر عن الحالة الصحية للإنسان باعتباره خط الدفاع الأول عنه.

ثالثاً : نستبعد أن تكون اصابته بالمرض كانت ناتجة عن الإفراط في الطعام من خلال إدراكنا لزهده العام – علي الرغم من ثراء المطبخ الشامي كما دل علي ذلك كتاب ابن العديم الحلبي (ت ١٢٦١م) بعنوان الوصلة إلي الحبيب في ذكر الطيبات والطيب – وبالتالي اختلف عن أمر عمه أسد الدين شيركوه الذي توفى نتيجة إفراطه في تناول اللحوم الغليظة عام ١١٦٩م[١٢]، وبالتالي تشابه مع الملك يوحنا John (١١٩٩– ١٢١٦م) ملك إنجلترا الذي مات من جراء شراهته في تناول الطعا[١٣]م.

رابعاً : كانت هناك العديد من الأحداث العصبية التي مرت بذلك القائد خلال صراعه الحربي مع الصليبيين وقد استهلكت جانباً من طاقاته النفسية والعصبية علي نحو أثر بدوره – كما هو مفترض – علي حالته الصحية بصفة عامة ولا أدل علي ذلك من الإشارة إلي منبحة تل العياضية عام ١١٩١م[١٤] عندما فتك ريتشارد قلب الأسد بنحو (٢٥٠٠) من أبطال المسلمين الذين حوصروا قرب عكا علي مدى عامين (١١٨٩– ١١٩١م) وذلك في يوم واحد، وقد شاهد ذلك السلطان ذبحهم علي أيدي أعدائه الصليبيين، ولا ريب في أن مثل تلك الأحداث وغيرها أجهدته نفسياً، وجعلته – مع غيرها – أكثر استعداداً للإصابة بالمرض ناهيك عن أثر سقوط عكا[١٥] عام ١١٩١م في قبضة الصليبيين وهزيمته في أرسوف في العام نفسه التي وصف أثرها عليه ابن شداد من خلال ما ذكره أنه كان في قلب السلطان من الوقعة ما لا يعلمه إلا الله، والناس بين جريح الجسد وجريح النفس[١٦] ومن المفترض أن توتره النفسي من خلال الهزيمة المذكورة – وهو الذي ذاق حلاوة النصر في حطين ١١٨٧م، فقد أنعكس سلبياً علي صحته – فإذا تركنا هذه الناحية، وجدنا العديد من المؤامرات التي حدثت ضده وجعلته أكثر حذراً وتوجساً كما في حالة المؤامرة الدولية الكبرى عام ١١٧٤م[١٧]، ومحاولة اغتيال الحشاشين له عام ١١٧٥[١٨]، عام ١١٧٦م[١٩]، ومن المفترض أن كافة تلك الأحداث وأن قدر له النجاة منها، إلا أنها أدت إلي زيادة توتره وتأثر صحته سلباً من جرائها.

خامساً : علينا إدراك أن ذلك السلطان لم يعش حياة عادية مثل أبسط عناصر العامة في دولته المترامية الأطراف، إذ عاش في خيمة في الصحراء تذروها الرياح، وكثيراً ما تنقل وسافر بين العديد من المواقع لمحاربة خصوم دولته وجهاد الصليبيين، وكل ذلك وسط أجواء مشحونة بالعداء والمؤامرات منذ أن عمل وزيراً في القصر الفاطمي في عهد

الخليفة العاضد (١١٦٠-١١٧١م)، ولا شك في أن ذلك كله جعله يحيا حياة أبعد ما تكون عن الاستقرار أو الهدوء، وبالتالي كانت كافة تلك الجوانب تزيد العبء علي جهازه العصبي وبالتالي يمكننا القول بمصطلحات عصرنا الحالي- أن جهازه المناعي تجاه الأمراض لم يكن قوياً بالدرجة الكافية، لذلك كانت جزءً لا يتجزأ من تاريخه حتى مع إغفال المصادر التاريخية رصدها بصورة منتظمة إلا ما ندر كما أسلفت الذكر من قبل.

سادساً : لم يكن صلاح الدين الأيوبي مريضاً مطيعاً لتعليمات الأطباء باللجوء إلي الراحة، وعدم الاجهاد، وبالتالي يكون قد شارك شخصياً في عودة المرض إليه!!، وهنا علينا ملاحظة أنه لم يكن يستطيع تنفيذ تلك التعليمات بالراحة وهو يشاهد جيوش الصليبيين تتوالي علي المنطقة خاصة في أعقاب معركة حطين عام ١١٨٧م، وعلينا هنا ملاحظة أنه كان قائداً ملك الجهاد عليه قلبه، لذلك رفض مثل ذلك الاتجاه طالما أنه خالف مصلحة المسلمين العليا.

وهكذا، يمكننا تحميل ذلك السلطان مسؤولية عدم الانصياع لتعليمات أطبائه بالخلود إلي الراحة، وفي نفس الأمر لا نستطيع أن نلومه علي ذلك لعدم قدرته علي تجنب الجهاد في عصر الصراع المرير ضد الصليبيين!!.

تجدر الإشارة دون إمكانية الترجيح أن الوضع الصحي القلق للسلطان الأيوبي، وتعدد مرات إصابته بالمرض، ربما جعله ذلك يشعر بالآخرين حتى الصليبيين أنفسهم عندما كان يدركهم المرض، لذلك وجدناه يحسن معاملة ريتشارد قلب الأسد عندما مرض في يافا حيث أرسل إليه طبيبه الخاص موسي بن ميمون (ت ١٢٠٤م) ومعه الفاكهة والثلج[٢٠] في لمسة حضارية نادرة في عالم العصور الوسطي خاصة خلال الحروب الصليبية، علي نحو دل بجلاء علي أنه فارس الإسلام النبيل الذي بهر بأخلاقه الصليبيين أنفسهم.

من جهة أخرى، من المحتمل أن أصابته بالمرض عدة مرات جعله يخشي أن يدركه الموت قبل حسم الصراع مع الصليبيين خلال أحداث الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م)، وربما كان ذلك من عوامل إقدامه علي عقد صلح الرملة[٢١] في ٢ سبتمبر عام ١١٩٢م مع عدم إغفال التأثير البارز للعوامل العسكرية والسياسية الأخرى- وما يدعم مثل ذلك الاحتمال، أنه توفي بعد (٥) أشهر فقط من توقيعه حيث أدركته المنية في ٤ مارس عام ١١٩٣م كما أسلفت الإشارة من قبل.

أما فيما يتصل بالمرض الأخير[٢٢] الذي أصاب صلاح الدين الأيوبي وأودي بحياته، وهو أهم وأخطر ما مر به في تاريخه المرضي- فلدينا عنه مادة علمية علي جانب كبير من

الأهمية في صورة ما ورد لدى ابن شداد في النوادر السلطانية، هو النوادر السلطانية وتتفوق علي المادة التاريخية عن الحالات المرضية السابقة علي عام ١١٩٣م، مع ملاحظة أن المرض الأخير هو حصاد الحالات المرضية السابقة ولا يمكن أن ينفصل عنها بأي حال من الأحوال.

يلاحظ أن أهم ما في روايته يتمثل في الآتي :

أ- أصيب السلطان بما يوصف لدي البعض بأنه حمي صفراوية[٢٣]، أو حتى أنه أصيب بالتيفويد كما رآي البعض الآخر[٢٤]، ولذلك ليس في الإمكان قبول ما أورده أحمد أبيش عندما علق علي الأمر موضحاً أنه "كان يعاني – كما يبدو – من ارتفاع ضغط الدم الشرياني، ونقص في التروية الدموية"[٢٥]، كذلك يستبعد ما تصوره البعض من إصابته بشيخوخة مبكرة[٢٦].

ب- أشار ابن شداد إلي غياب طبيبه، ومن المرجح أنه موسي بن ميمون الذي وثق فيه، ولا نعرف السبب فبهذا الغياب الذي وصفه بأنه كان قد ألف مزاجه سفراً وحضراً[٢٧]، أي كانت لديه خبرة عريضة بحالته الصحية في حالتي الإقامة وكذلك السفر، مع ملاحظة كثرة تنقله مع تعدد جبهات القتال بين بلاد الشام وشمالي العراق ومصر.

ويحاول المؤرخ جيمس رستون الابن القول بأنه تعمد الغياب لعدة أيام نظراً لكون الحالة المرضية للسلطان كانت في نطاق الميؤوس منها[٢٨] إلا أننا لا نجد ما يدعم مثل هذا القول الذي لا يجد سنداً من نصوص المصادر التاريخية المعاصرة وبالتالي فهو من مخيلة ذلك المؤرخ!!.

ج- أشار مؤلف النوادر إلي ما نصه : "رأي الأطباء فصده ففصدوه في الرابع (أي في اليوم الرابع) فاشتد مرضه"[٢٩]، وهنا نحتاج إلي إضافة فارقة من عبد اللطيف البغدادي الذي ذكر صراحة أن من فصده افتقد الخبرة وبالتالي أدي إلي الاسراع بتدهور حالة السلطان الصحية[٣٠]، وهو أمر يخالف ما تصوره البعض عندما ذكر ما نصه: "لم تنفع حكمة الأطباء المهرة الموجودين"[٣١]، ولا تمدنا المصادر التاريخية المعاصرة، بأية معلومات بشأن هذه الناحية، هل كان ذلك من خلال خطأ بشري متعمد؟ أم كان علي نحو غير مقصود، وهو أمر لا يمكن الإجابة عنه بعد (٨٢٠) عام من رحيل السلطان!! وبصفة عامة من الممكن القول بأن إهمالاً ما لحق بعلاجه خلال ذلك المرض.

د- اشتد المرض بالسلطان في الأيام السادس والسابع والثامن، ثم تغيب ذهنه – وكان ذلك مؤشراً علي ما وصل إليه من تدهور– أما في اليوم التاسع؛ فقد شعر برعشة، وفي اليوم العاشر تم حقنه بحقنتين شرجيتين شعر بعدهما بنوع من الراحة[٣٢]، كذلك

عولج بماء الشعير ومن الواضح أن أشكال العلاج المذكورة كان الهدف منها تخفيض درجة حرارته المرتفعة.

ومن الجلي البين أن كافة تلك الوسائل لم يكن لها أن تجدي نفعاً في حالته المتدهورة، ففي اليوم الحادي عشر زادت سوءً، وأدركه الموت[٣٣] في اليوم الثاني عشر في فجر يوم الأربعاء ٤ مارس ١١٩٣م، وبالتالي لم يكن مرضه علي مدى (٨) أيام كما ذكر ابن الأثير[٣٤] الذي كان بعيداً عن نطاق ذلك الحدث الجلل ومن الأفضل – منطقياً – الأخذ بما أورده ابن شداد شاهد العيان الملازم للسلطان في مرضه، ومن جانبي، من الممكن الاقرار بأن المرض الأخير الذي توفي علي أثره ذلك السلطان هو علي الأرجح الملاريا الذي سببه البعوض لأن الأعراض التي وصفت بدقة من خلال النوادر السلطانية تنطبق علي ذلك المرض.

وهكذا، فإن من مفارقات التاريخ التي تدعونا للتأمل العميق أن بطل عصر الحروب الصليبية ومحرر بيت المقدس من الصليبيين أدي البعوض إلي الفتك به، وهو أمر حدث من قبل بعدة قرون مع الإسكندر الكبير Alexander The Great (ت ٣٢٣ ق.م) عندما توفي بنفس المرض!!.

بصفة عامة، لا نغفل هنا الاقرار بأن التوتر العصبي والنفسي الذي عاني منه صلاح الدين الأيوبي علي مدى أعوام طويلة من الصراع مع خصومه من المسلمين وكذلك الصليبيين كان عاملاً فاعلاً علي ضعف جهازه المناعي وبالتالي صار أكثر قابلية للإصابة بمرض الملاريا الذي أصابه قبل الموت ناهيك عن اضطراره لخوض المعارك في مناطق غير صحية تنتشر فيها الحشرات والميكروبات.

جدير بالذكر إلي أن أول إشارة بارزة عن إصابة السلطان المذكور بالمرض كانت عام ١١٨٦م، وكان قد بلغ عندئذ من العمر (٤٨) عاماً نظراً لعلمنا أنه ولد عام ١١٣٨م. وآخر إشارة تمثلت في مرضه عام ١١٩٣م وكان قد بلغ من العمر (٥٥) عاماً، وبالتالي ففي مقدورنا القول أن الثماني أعوام الأخيرة من عمره شهدت إصابته بالمرض علي نحو متقطع، وهي أعوام الإنجازات البارزة في صورة حطين (٤ يوليو ١١٨٧م)، وفتح بيت المقدس (٢ اكتوبر ١١٨٧م) والتصدي للحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م) بصورة تجعلنا نصل إلي حقيقة مفادها أن أبرز مراحل جهاد صلاح الدين ضد الصليبيين كانت عامرة بالمرض والانتصار العسكري مما دل علي التلازم بينهما، وكثيراً ما أتجه الباحثون إلي دراسة الانجازات التاريخية بمعزل عن الوضع الصحي لذلك القائد وهي زاوية علينا ألا نغفل أهمية دراستها، ومن المرجح أن تحدي المرض ولد لديه استجابة قوية انعكس أثرها علي الصراع بين المسلمين والصليبيين.

بصفة عامة، تدل وفاة صلاح الدين الأيوبي مريضاً علي أن قادة حركة الجهاد الإسلامي أما أنهم ماتوا قتلاً من خلال الاغتيال كما حدث لدى شرف الدين مودود[٣٥] (ت١١١٣م) وعماد الدين زنكي[٣٦] (ت ١١٤٦م) والأشرف خليل بن قلاوون[٣٧] (ت١٢٩٣م)، أو من خلال المرض كما في حالة نور الدين محمود[٣٨] (ت ١١٧٤م) الذي توفي بمرض الخوانيق أو الذبحة الصدرية، وصلاح الدين الأيوبي نفسه الذي توفي عام ١١٩٣م من خلال مرض الملاريا، وهكذا فإن أولئك القادة دفعوا الثمن من خلال صحتهم من أجل حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين.

خلاصة القول، يتضح لنا من البحث عدة نتائج يمكن إجمالها من خلال الآتي:

١) كان صلاح الدين الأيوبي كثير الأمراض كما وصف نفسه للقاضي الفاضل، وعلي الرغم من ذلك كان شديد الحرص علي جهاد الصليبيين، وقد تحدى ظروفه الصحية السيئة وعلي نحو فاق العديد من القادة المسلمين السابقين الأصحاء، وبالتالي في مقدورنا القول بأن مرضه كان جزءً مهما يمكن تسميته بالعقدة المبدعة" أي أنه تجاوز تلك الناحية ودخل التاريخ من خلال جهاده للصليبيين ومن المرجح أن تاريخه المرضي جعله أكثر زهداً في مباهج الحياة.

٢) يمكننا القول أن صلاح الدين الأيوبي دفع الثمن من صحته، ومات مريضاً بعد رحلة جهاد شاقة وطويلة ممتدة من عام ١١٦٩ إلي ١١٩٣م علي مدى نحو (٣٥) عاماً، وعلي الرغم من ذلك لم يسلم من عداء البعض – حالياً – الذين هاجموه ورقياً وإلكترونيا علي الرغم من أنه كان مريضاً ومعاقاً في قدمه، ومات وقد ترك ديناراً واحداً و(٣٧) درهماً، ولذلك علي من يهاجمه إدراك كافة الظروف والملابسات الشخصية والخارجية المحيطة به قبل أن تحكم عليه.

٣) كان غياب موسي بن ميمون عن ساحة علاج صلاح الدين الأيوبي في مرضه الخير، عاملاً مؤثراً في تدهور حالته الصحية، ولا تكشف لنا المصادر التاريخية سبب ذلك الغياب، وهي "ثغرة" لا نملك لها إجابة، وربما تكشف نصوص مصدرية محققة ودراسات جادة حديثة النقاب عن تلك الزاوية.

٤) كشف البحث عن حدوث إهمال من جانب من لا نعرف اسمه من أطباء صلاح الدين الأيوبي خلال مراحل علاجه الأخيرة قبيل وفاته نتيجة عدم توافر خبرة لديه وهو أمر أكده عبد اللطيف البغدادي وهي شهادة علي جانب كبير من الأهمية صادرة عن طبيب ومؤرخ له شأنه البارز، وبالتالي في مقدورنا القول دونما مبالغة أن فاتح بيت المقدس

مات ضحية الإهمال من جانب والاجهاد المضنى من جانب آخر دون إمكانية التأكد من وجود تعمد في ذلك الإهمال. وليس في مقدورنا التثبت من أن هذا الأمر كان متعمداً أم نتيجة خطأ بشري غير مقصود، وأن كنت استبعد التعمد، لأنه في حالة حدوث ذلك لكشف النقاب عنه مؤرخ النوادر دونما مواربة خاصة أنه كان قاضياً قبل ان يكون مؤرخاً.

من الجلي البين من خلال دراسة التاريخ المرضي لصلاح الدين الارتباط الوثيق بين الجانبين الفسيولوجي والسيكولوجي وهما وجهي عملة واحدة وهو أمر ندركه من خلال تزايد المرض عليه عام ١١٨٥م عقب سماعه لخبر وفاة عصمت الدين خاتون وقد قرر احد الباحثين ما نصه : أكثر ما كانت تعاودته العلة (أي المرض) عند الكسرة والهزيمة[٣٩] وهكذا يتضح لنا ارتباط الجسدي بالنفسي ويتأكد لنا أن سقوط عكا في قبضة الصليبيين وهزيمته في معركة أرسوف ١١٩١م أثرتاً علي حالته النفسية وبالتالي مرضه.

٥) بصفة عامة، كانت وفاة صلاح الدين الأيوبي مريضاً علي هذا النحو تعني أنه أمنيته الاستشهاد في سبيل الله والتي أظهرها لمؤرخ النوادر لم تتحقق ومات علي فراش المرض وهو في ذلك يشبه سيف الله المسلول خالد بن الوليد الذي تمنى الشهادة ولم ينالها، كذلك يلاحظ أن هناك تشابها بين صلاح الدين وأستاذه نور الدين محمود حيث أن الأثنين تمنيا الشهادة وما قدر الله تعالي لهما تحقيقها.

٦) بصفة عامة من الملاحظ من خلال مرض صلاح الدين ووفاته من جراء الملاريا أن ذلك يثبت لنا ان نجاته من الموت من خلال السموم بأنواعها المتعددة بانواعها النباتية والحيوانية والمعدنية التي انتشرت في عصر الحروب الصليبية من اجل التخلص من الخصوم السياسيين لدي المسلمين أو الصليبيين علي حد سواء.

٧) لا نغفل ملاحظة أن مراحل مرض ذلك السلطان كانت في نطاق الجزيرة الفراتية وحيفا ودمشق ولم نسمع في المصادر عن اصابته بأمراض خلال المرحلة المصرية ولا يعني هذا أن التوترات التي عاصرها كان لها تأثيرها علي مرضه في المستقبل كذلك تنوعت حالته المرضية بين فصلي الصيف والشتاء.

٨) أكد البحث ضمنياً علي أن هناك موضوعات جديدة يمكن دراستها من ذلك السلطان الأيوبي المتجدد الحضور من خلال قيادته للمسلمين نحو تحقيق الانتصار التاريخي الحاسم في حطين في ٤ يوليو، ثم فتح بيت المقدس في ٢ اكتوبر ١١٨٧م، والذي تأكد من الصفحات السابقة أنه دفع الثمن من صحته في سبيل مواصلة الجهاد ضد الصليبيين.

ذلك عرض عن التاريخ المرضي لصلاح الدين الأيوبي.

الهوامش

(١) مصطفي الحياري، صلاح الدين القائد وعصره، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ٤٧٦.
حيث قال ما نصه: "كنت أنوي إجراء دراسة لذلك (يقصد مرضه) لكن آثرت ترك الموضوع للمهتمين بتاريخ الطب"، وبالتالي يكون هذا المؤرخ الفاضل الراحل أول من نبه إلي أهمية اعداد دراسة عن الموضوع المذكور، لذا حرصت علي الإشارة – إليه والإشادة بفضله رحمه الله تعالي رحمة واسعة.

(٢) ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهرة ١٩٦٤م، ص ص ١٩٨-١٩٩.

(٣) عنه أنظر:
ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهرة ١٩٦٤م، ص ص ٣-١٠، من مقدمة التحقيق، أبو شامة، الذيل علي الروضتين، ط. القاهرة ١٣٩٩هـ، ص ١٦٣، السعيد الورقي، مصادر التراث العربي، ط. الإسكندرية ١٩٩٠م، ص ١٥٦، عبد المنعم ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور والوسطي، ط. بيروت ١٩٦٦م، ص ٢٧١، علي أحمد، الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام، ط. دمشق ١٩٨٩م، ص ٣٢٨، سفانه جاسم الجبوري، شخصية صلاح الدين الأيوبي من خلال كتاب النوادر السلطانية للقاضي بن شداد، تاريخ العرب والعالم، العدد (١٩٥) السنة (٢٢)، يناير – فبراير ٢٠٢م ، ص ص ٩٢ –١٠٠، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية دراسات في التاريخ المقارن ،ط. القاهرة ٢٠١٠م، ص ص ٢٥٠ –٢٥١، نظير حسان سعداوي، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي ، ط. القاهرة ١٩٦٢م، ص ١٤٢.

(٤) عنه أنظر:
ابن كثير، البداية والنهاية، ط. بيروت ١٩٨٠م، جـ١٣، ص ٢٥٧، أحمد عيسي، معجم الأطباء مكن سنة ٦٥٠هـ إلي يومنا هذا –، ط . القاهرة ١٩٤٣، ص ١١٤، كرد علي، خطط الشام، ط. بيروت ١٩٨٣م، جـ٤، ص ٣٨، شاكر مصطفي، التاريخ العربي والمؤرخون، ط. بيروت ١٩٨٠م، جـ٢، ص ٢٦٨، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ط. بيروت ١٩٥٧م، جـ١، ص ٤٧، الزركلي، الأعلام، ط. بيروت ١٩٨٤م، جـ١، ص ١٩٧، محمد مؤنس عوض، من إسهامات الطب العربي الإسلامي في العصور الوسطي، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ص ١٠٤-١٢٦.

(٥) عنه أنظر:

ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط. القاهرة ١٨٨٢م، جـ٢ ص ص ٢٠١-٢١٣، الاسنوي، طبقات الشافعية، تحقيق عبد الله الجبوري، ط. بغداد ١٢٩٠هـ، ص ص ٢٧٣-٢٧٤، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط. بيروت ب- ت، جـ٥، ص ١٣٢، بول غليونجي، عبد اللطيف البغدادي، طبيب القرن السادس، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص ص ١٧- ٢٢، محمد توفيق بلبع، عبد اللطيف البغدادي، أضواء جديدة علي سيرته ومنهجه التاريخي، عالم الفكر، م (١٩)، العدد (٣) عام ١٩٨٥م، ص ١٩، علي محسن مال الله، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، المورد م (١٣) ، العدد (١) عام ١٩٨٤م، ص ص ١٦٣- ١٧٦، مجموعة من الباحثين، الكتاب التذكاري عن عبد اللطيف البغدادي، ط. القاهرة ١٩٦٤م، محمد أمين فرشوخ، موسوعة عباقرة الإسلام، ط. بيروت ١٩٩٥م، جـ٥، ص ص ١٩٢- ١٩٣، أحمد أبو سعد، أدب الرحلات، ط. بيروت ١٩٦١م، ص ص ١٤٠ -١٥٤، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية دراسات في التاريخ المقارن، ط. القاهرة ٢٠١٠م، ص ص ٢٣٥-٢٥٦.

(٦) البنداري، سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص ٢٩٩، خليل عثامنه، فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي (١١٨٧-١٥١٦م)، ط. بيروت ٢٠٠٦م، ص ٤٦٣.

(٧) عن مرضه في العام المذكور أنظر:

هولت، عصر الحروب الصليبية تاريخ الشرق الأدنى من القرن الحادي عشر حتى عام ١٥١٧م، ت .عادل هلال، ط . دمنهور ٢٠٠١م، ص ص ١٢٢-١٢٣.

(٨) عن دوافع تحركات صلاح الدين الأيوبي وآراء المؤرخين حيالها أنظر:

ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق أحمد أيبش، ط. دمشق ٢٠١١م.

H. Gibb, " The Arabic Sources For The life of Saladin",S.,25,1950, pp. 58-72.

محمد مؤنس عوض، فكرة الجهاد الإسلامي في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطي، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور/ محمود سعيد عمران، ط. الإسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٢٧٦، وانظر رأي المستشرق الأمريكي جون لامونت John la Monte الذي لا يعترف بفكرة الجهاد في ذلك العصر وكذلك من جانب صلاح الدين أنظر جون لامونت، الحروب الصليبية والجهاد، ضمن كتاب دراسات إسلامية، ت. مجموعة من الباحثين اشراف نيقولا زيادة، ب-ت ١٩٦٠م، ص ص ١٢٠-١٢٥.

(٩) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٨٠.

(١٠) نفسه، نفس الصفحة.

عبد الله ناصح علوان، صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين، ٥٣٢-٥٨٩هـ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص ١١٥.

(١١) ابن شداد، المصدر السابق، ص ٨١.

(١٢) عن وفاة أسد الدين شيركوه أنظر:

ابن شداد، سيرة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق أحمد أيبش، ط. دمشق ٢٠٠٩م، ص ١٠٤، حمدي عبد المنعم، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ط. الإسكندرية ١٩٩٨م، ص ص ٢١-٢٢.

(١٣) محمد مؤنس عوض، العصور الوسطي الأوروبية، ط. الشارقة ٢٠١٢م ، ص ١٥٠.

(١٤) عن مذبحة تل العياضية أنظر:

Jacques de Vitry, History of Jerusalem, Trans. A. Stewart, p.p.T.S., Vol. IX, London 1896, p.113.

العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد صبيح، ط. القاهرة ١٩٦٥م ن ص ٥٧٨، ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، تحقيق حسن الشماع ،ط. بغداد ١٩٦٩م م ع / جـ١، ص ٢٧وفاء محمد علي، دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية، ط. القاهرة ١٤١٠هـ، ص ٧٢، قدري قلعجي، صلاح الدين الأيوبي، قصة الصراع بين الشرق والغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ط. بيروت ١٩٧٩م، ص ٣٩٥، جنفيافشوفيل، صلاح الدين بطل الإسلام، ت. جورج أبي صالح، ط. بيروت ١٩٩٢م، ص ٢٠٣، أحمد عبد الجواد الدومي، صلاح الدين الأيوبي الناصر لدين الله، ط. صيدا ب- ت، ص ١٢٤، هدى الويسي، صورة الأوروبيين في المصادر العربية الإسلامية عصر الحروب الصليبية (القرن ٦، ٧ هـ/١٢، ١٣م) رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس، عام ٢٠١١م، ص ٧٩.

(١٥) عن سقوط عكا أنظر:

ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ص ٢٩٧- ٢٩٩، الأصفهاني، البستان الجامع للجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط، بيروت ٢٠٠٢م، ص ص ٤٣٧-٤٣٨، علي الصلابي، التاريخ السياسي والعسكري والإداري لصلاح الدين الأيوبي في معركة حطين وفتح بيت المقدس، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ص ١٥٦-١٥٧.

(١٦) عن معركة ارسوف أنظر:

Anonymous, Chronicle of The Third Crusade, A Translation of Itinerarum Gesta Regis Ricardi, Trans. The Hinerarium Helen Nicholson, London 1997, pp. 246-261.

ابن شداد، النوادر السلطانية، تحقيق الشيال، ص ١٧٥، محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي - الصليبي - معركة ارسوف ١١٩١/٥٨٧هـ، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ص ٢-٦٥.

J.France, Western Warefare in The Age of The Crusades, 1000-1300, New York 1999, p. 34, p. 37.

(١٧) عن المؤامرة الدولية الكبري أنظر:

الأصفهاني البستان الجامع، ص ص ٤٠٢- ٤٠٣، ابن أيبك الدواداري، الدر المطلوب في أخبار بني أيوب، تحقيق ٥ سعيد عاشور، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص ٥٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط. القاهرة ب-ت، جـ٦، ص ص ٧٠-٧١، عبد المنعم ماجد، الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي، ط. بيروت ١٩٦٢م ن ص ص ٩٣-٩٥، مصطفي غالب، أعلام الإسماعيلية، ط. بيروت ١٩٦٩م، ص ص ٤٢٠-٤٢٢.

(١٨) عن محاولة الاغتيال عام ١١٧٥م أنظر :

ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، ط. دمشق ١٩٥٤م، جـ٢، ص ٣٦٧، محمد المقدم، الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ٢٥٠ (أشيد بجهد هذا الباحث اليمني النابه المتألق)، محمد مؤنس عوض، الإسماعيلية النزارية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، مجلة بحوث الشرق الأوسط، عام ٢٠٠٧م، جمال الدين الرمادي، صلاح الدين الأيوبي، ط. القاهرة، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص ٥١.

(١٩) عن محاولة الاغتيال عام ١١٧٦م أنظر:

ابن شداد، النوادر السلطانية، تحقيق الشيال، ص ٩٦، محمد المقدم، المرجع السابق، ص ٢٥١، نظير حسان سعداوي، التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص ٧٥،

S. Lane- Poole, Saladin and Jerusalem, Fall of kingdom of Jerusalem, London 1898, p.145.

ومن المفيد الرجوع إلي هذا البحث :

عبد الكريم عثامنة، صلاح الدين وموقفه من القوى المناوئة في بلاد الشام، الدارة، العدد (٢) السنة (١٢) عام ١٩٨٦م، ص ص ١٥٩-١٧٣.

(٢٠) محمد مؤنس عوض، صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة، ص ٢٢٨.

(٢١) عن صلح الرملة أنظر:

Ambroise, The Crusade of Richard Heart of lion, Trans .M.J. Hubert, New York 1943, pp. 429-430.

Roger of Wendover, Flowers of History, Trans. J.A.Giles, London 1849, p. 123.

ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ص ٤٠٢-٤٠٣، ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، جـ٢، ص ٤٠٤، يوسف غوانمة، معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج ،ط. عمان ١٩٩٥م، ص ص ٤١-٤٣، كميل عزيز، عصر الحروب الصليبية، ط. الإسكندرية ٢٠١٠م، ص ص ٥٨-٥٩، مرفت عثمان، التحصينات الحربية وادوات القتال في العصر الأيوبي بمصر والشام زمن الحروب الصليبية، ط.

القاهرة ٢٠١٠م، ص ص٧٢-٧٣، عبله المهتدي الزبدة، صلاح الدين وتحرير القدس، ط. عمان ١٩٩٤م، ص ص ١٤٨-١٤٩، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية عرض موجز، ط. القاهرة ٢٠١٠م، ص ٣٢.

(٢٢) عن المرض الأخير لصلاح الدين انظر:

ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ص ٤١٧-٤١٩، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط. بيروت ١٩٩٢م، جـ٥، ص ٣٩٣، عبد المنعم الهاشمي، صلاح الدين الأيوبي، ط. الإسكندرية ٢٠٠٨م، ص ٢٨٢، علي الصلابي، ط. القاهرة ٢٠٠٧م صلاح الدين الأيوبي وجهوده في تحرير بيت المقدس، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ٦١١، نفسه، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء علي الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، ص ص ٥٨٨-٥٨٩، عبد الله ناصر علوان، صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين ٤٣٢- ٥٨٩هـ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص ص ٧٦-٧٧، محمد مؤنس عوض، تاريخ الصليبيات الصراع العالمي في العصور الوسطي، ط. القاهرة ٢٠١٠م، ص ٢٧٦، محمود شلبي، حياة صلاح الدين، ط. بيروت ١٩٨٩م، ص ١٤٥، منصور عبد الحكيم، صلاح الدين المنقذ المنتظر، ط. بيروت ٢٠٠٨م، ص ٢٨١، زيد الفياض، صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين، ط. بيروت ٢٠٠٣م، ص ٨٧، مجموعة من الباحثين، أبطال العرب صلاح الدين الأيوبي، ط. بيروت ١٩٨٩م، ألبير شاندور، صلاح الدين الأيوبي من ذهنية الإلغاء إلي ذهنية التحريم، ت. سعيد أبو الحسن، ط. دمشق ٢٠١٢م، ص ص ٢٥٢-٢٥٣، جيمس رستون الابن، مقاتلون في سبيل الله صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة، ت. رضوان السيد، ط. الرياض ٢٠٠٢م، ص ٤٥٨، محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة ٥٦٩-٦٦١هـ/١١٧٤-١٢٦٣م، ط. بيروت ٢١٩٩٩م، ص ٢٠٦، نفسه، تاريخ الحروب الصليبية حروب الفرنجة في المشرق، ٤٨٩-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩١م، ط. بيروت ٢٠١١م، ص ٥١٩، علي الصلابي، التاريخ السياسي والعسكري والإداري لصلاح الدين الأيوبي في معركة حطين وفتح بيت المقدس، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ص ١٩٦-١٩٧، أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ت. عفيف دمشقية، ط. بيروت ١٩٩٣م، ص ٢٦٧، قدري قلعجي، صلاح الدين الأيوبي قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، ط. ب- ت ١٩٩٤م، ص ٤٣٤ سوزي حمود، الفاطميون والزنكيون والأيوبيون والمماليك وصراعهم حول السلطة في المشرق العربي ٣٦١-٩٢٣هـ/٩٧٣-١٥١٧، ط. بيروت ٢٠١٠م، ص ٦٠، ياسر نصر، صلاح الدين

الأيوبي، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص ص ٢٤٤-٢٢٥، ساهر رافع، شخصيات أثرت في التاريخ، صلاح الدين، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ص ١٥٦-١٥٧.

P.H. Newby, Saladin in his time, London 1983, pp. 195-196.

(٢٣) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ص ٤١٧-٤٢١، محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة ٥٦٩-٦٦١هـ/١١٧٤-١٢٦٣م، ط. بيروت ١٩٩٩م، ص ٢٠٦، سعيد عاشور، صلاح الدين الأيوبي، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص ٥٥، سيدة كاشف، صلاح الدين الأيوبي بطل وحدة الصف العربي الإسلامي وبطل الجهاد في سبيل الله، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص ٩٣.

(٢٤) ألبير شاندور، صلاح الدين الأيوبي، ص ٢٥٣.

(٢٥) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٤١٧، حاشية(٢).

(٢٦) أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص ٢٦٨.

(٢٧) نفسه، نفس الصفحة.

(٢٨) جيمس رستون الابن، مقاتلون في سبيل الله، ص ٤٥٧.

(٢٩) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٤١٧.

(٣٠) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، ط. بيروت ب-ت، ٦٨٨، يقول ما نصه : "رجع ففصده من لا خبرة عنده فخارت القوة".

(٣١) مصطفي الحياري، صلاح الدين القائد وعصره، ص ٤٧٦.

(٣٢) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٤١٨.

(٣٣) نفسه، ص ٤٣١.

(٣٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط. عمان ب- ت، ص ١٨٢٩.

(٣٥) عن شرف الدين مودود أنظر.

ابن الأثير، الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر طليمات، ط. القاهرة ١٩٦٣م ن ص ١٧، عبد الغني رمضان، السلاجقة والصليبيون من موقعة ملازجرد حتى سقوط الرها، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٥٧م، ص ٩٢- ص ٩٦، نفسه، شرف الدين مودود أتابك الموصل والجزيرة، مجلة كلية الآداب - جامعة الرياض، م(٤)، السنة (٤) عام ١٩٧٦- ١٩٧٧م، ص ص ١٢٩-١٥٠، عفاف صبرة، الأمير مودود بن التونتكين" الدارة، العدد (٢)، السنة (١٢)، عام ١٩٦٨م، ص ص ١٠٩- ١٣٢، عماد الدين خليل، المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي عصر ولاة السلاجقة في الموصل ٤٨٩- ٥٢١هـ/١٠٩٥-١١٢٧م، ط. الرياض ١٩٨١م، ص ص ٩٦- ١٠٨، رشيد الجميلي، الأمير مودود صاحب

الموصل والحروب الصليبية ٥٠٢- ٥٠٧هـ، مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد، العدد (١٤)، م (١) عام ١٩٧٠/١٩٧١م – ص ص ٤٦١-٤٧٥، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية، العلاقات بين الشرق و الغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩-٢٠٠٠م، ص ص ١٥٣-١٥٦، علي الصلابي، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، ط. بيروت ٢٠٠٦م، ص ص ٦٢٤-٦٣٢.

H. Fink, "Maudud of Mosul precursor of Saladin", M.W., XTIII, 1953, pp. 18-37.

(٣٦) عن عماد الدين زنكي انظر:

ابن الأثير، الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية، ص ١٧، علي الصلابي، السلطان الشهيد عماد الدين زنكي شخصيته وعصره، ط. صيدا ٢٠١٠م، شاكر أبو بدر، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية، ط. بيروت ب – ت، محمود الرويضي، إمارة الرها الصليبية، ط. عمان ٢٠٠٣م، ص ص ٥٥٨-٥٨١، عبد الهادي عباس، سياسة عماد الدين زنكي وأثرها في مواجهة المد الصليبي في بلاد الشام، ضمن بحوث مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي – الفرنجي ٤٩١ – ٦٩٠هـ جامعة اليرموك عام ٢٠٠٠م، ص ص ١٥١-١٨١، عماد الدين خليل، عماد الدين زنكي، ط. بيروت ١٩٧١م، عليه الجنزوري، إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص ص ٢٩٥-٣١٢، راغب السرجاني، قصة الحروب الصليبية من البداية حتى عهد عماد الدين زنكي، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ص٣٤٠- ٤٩٨، عبد الله سليم عمارة، حملات الفرنجة وإسرائيل تشابه في المسار والمصير، ط. دمشق ٢٠٠٧م، ص ص ٤٤-٤٥، أحمد كمال حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ط. الكويت ١٩٨٦م، ص ١٥٥.

H. Gibb, " Zengi and The Fall of Edessa", in A History of The Crusades, ed. K. Setton, Vol. II, Wisconson 1989, pp. 449-462.

C. Alptekin, The Reign of Zangi (521-541L 1127-1146), Ataturk University, Erzurum 1978.

(٣٧) عن الأشرف خليل بن قلاوون أنظر:

ابن عبد الظاهر، الألطاف الخفية في السيرة الأشرفية الخليلية، ط. مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق زترشتين، ط. ليدن ١٩١٩م، ص ٨، عبد الرؤوف عفيفي، السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة القاهرة ب-ت، محمد فوزي رحيل، نهاية الصليبيين (فتح عكا ٦٤٨-٦٩٠هـ/١٢٥٠-١٢٩١م)، ط. القاهرة ٢٠٠٩م، ص ص ٣٣٣-٣٤٠، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية، العلاقات بين الشرق والغرب، ص ص ٣٤٧-٣٥٦، نفسه، الصليبيات الصراع العالمي في العصور الوسطى، ص ص ٣٧٦-٣٨٥ مصطفي سبيتي، لبنان في العهد المملوكي، أهم الآثار الدينية، ط. بيروت ٢٠٠٨م، ص ص ٣٤-٣٥.

D. Little, The Fall of Akka in 690/1291 The Muslim Version in Studies in Islamic History and Civilization in Honour of Professor David Ayalon, Jerusalem 1986, pp. 159-181.

(٣٨) عن نور الدين محمود أنظر :

ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق تحقيق امبدروز، ط. بيروت ١٩٠٨م، ص ص ٣٠٠- ٣٥٩، ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق محمود زايد، ط. بيروت ١٩٧١م، ص ص ١٥-٢٣، حسن حبشي، نور الدين محمود والصليبيون، ط. القاهرة ١٩٤٨م، حسين مؤنس، رائد نصر المسلمين علي الصليبيين، نور الدين محمود سيرة مجاهد صادق، ط. الرياض ١٩٨٧م، نفسه نور الدين محمود، سيرة مجاهد صادق، ط. القاهرة ١٩٥٩م، جاد محمد رمضان، تاريخ، الملك العادل نور الدين محمود، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر عام ١٩٤٥م، عبد الله سعيد الغامدي، مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود، ط. مكة المكرمة ١٤١٤هـ علي سعد عطية، التنافس بين نور الدين محمود والصليبيين علي مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأمريكية ببيروت ١٩٧٠م. عماد الدين خليل، نور الدين محمود وتجربته الإسلامية، ط. دمشق ١٩٨٧م، محمود فايز سرطاوي، نور الدين زنكي في الأدب العربي في عصر الحروب الصليبية، ط. عمان ١٤١١هـ علي الصلابي، الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، ط. بيروت ٢٠٠٧م، علياء تبريزي، المخطط الأعظم لتحرير القدس، نور الدين محمود زنكي، ط. صيدا ٢٠٠٣م، عبد الكريم الحشاش، الملك العادل الشهيد نور الدين محمود، ط. دمشق ١٩٩١م، نيكيتا اليسيف، السلطان نور الدين محمود بن زنكي أمد سنقر ٥١١-٥٦٩هـ/١١١٨-١١٧٤م، ت. سليم قندلفت، ط. دمشق ١٩٩٨م، ليلي عبد الجواد، الملك العادل نور الدين محمود، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، عبد القادر أبو صيني، نور الدين موحد الأمة ضد الصليبيين (دور نور الدين محمود زنكي في نهضة الأمة ومقاومة الغزو الصليبي) ط. عمان ٢٠٠٠م، محمد فايز السرطاوي، نور الدين محمود زنكي في الأدب العربي في عصر الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية عام ١٩٨٦م، محمد مؤنس عوض، نور الدين محمود (١١٤٦-١١٧٤م) عرض ببليوغرافي عن المرحلة ما بين عامي (١١٤٥-٢٠١٢م)، مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد (٣٣)، سبتمبر ٢٠١٣م.

N.Elisseeff, Nur ad – Din, un grand prince muslman au Temps des Croisades, 3 Vols., Dams 1967.

(٣٩) عبد العزيز سيد الأهل، أيام صلاح الدين، ط. بيروت ١٩٦١م، ص ٢٥٠.